ايام قلائل تحققت الملكة ان اكتافيوس سيأخذها اسيرةً ويعرضها يوم ولوجه رومة لمرأى الشعب وسخريته فآثرت الموت على الذل. فوجدها اعوانها يوماً مضجعةً على سرير ثمين وقد تزينت بحلاها ولبست أفخر ثيابها وهي جثة بلا حراك وعن يمينها غلام قد قضى نحبهُ وعن يسارها غلام ثانٍ في آخر رمق من الحياة

وضمَّ اكتافيوس مصر الى اقاليم رومة ولكنهُ تحاشى كأنما يذلل كبر المصريين فتظاهر انهُ الملك الجديد على البلاد والخلف الشرعيّ لسلالةٍ قد انقرضت . واقام نائباً عنهُ ليحكم بين الشعب وامرهُ ان يتخلق ما استطاع باخلاق من يدير شؤونهم . لكنما نزلت بثروة مصر نازلة كادت تودي بها فتُرِّم كلّ فرد من السكان سُدس مالهِ وأُكرهَ الاغنياء على دفع مبالغ عظيمة وأُخذت آنية الذهب والفضة المحفوظة في المتاحف وضُربت نقوداً وقبض اكتافيوس على خزائن ملوك مصر واقتسمها مع اصحابهِ واعوانهِ ثمَّ أقل راجعاً الى رومة وسكتت الارض امامهُ . فسبحان من يدوم ملكهُ لا إله سواهُ

المَرْيَمانيَّة أو البَرْبرانيَّة

لحضرة الاب انستاس الكرمليّ

١ تمهيد

اذا نكّب المرء عن جوادّ الحق الرَّحبات . اخذ للحال في وادي جَدَبات . او رَقي من فوره نَقبًا كُلُّهُ عَقَبات . وهيهات يصل الى ما يقصدهُ من الغاية المطلوبة والف مرَّة هيهات . ولاسيَّما اذا كان يصل السَّير بالسُّرى في مثل هذه المهايع الكاذبة . بعيدًا عن الطُّرُق اللاحبة

فلقد نشأ في حجر النصرانية بدع مختلفة متباعدة بعضها عن بعض او متدانية بعضها من بعض . في انحاء شتى من اقطار الارض . فتضاربت وتحاربت في ما بينها . فضعُفَ شيئها فقوَّى ذلك زَيْنَها . ومات منها ما مات . وبقي منها الصحيح او ما لشبههُ ببعض الصفات . امَّا ما كان منهُ بعيدًا عن الحقّ . بُعْدَ الرتق عن الفتق . فقد زال وانقرض . ولم يبقَ منهُ أثر جوهر او عَرَض . ومما يدخل هذا الباب بدعةٌ عبدت مريم العذراء عبادة

تقرب من عبادة ربّ الارباب . كأنهـا تذكرت كلاماً منسوباً الى القديس ديونيس الاريوفاجي القائل : « ان العذراء حسناء اي حسن حتى انهُ يبهر العيون . ولولا علمي ان الله واحد لعبدت العذراء عبادة إلهة السماء » فاصلحت هذا الكلام بان ادّت للعذراء عبادة حقيقيّة وقرّبت القرابين لها . سامحهم الله على هذه الجريرة الكبيرة الصادرة عن جهل اكثر من ان تكون صادرة عن فكر او بصيرة . ولاسيّما اذا علمنا ان القائلين بهذه المقـالة هم من اعراب البادية لا غير

٢ اسمهم ومعتقدهم

قد اختلفت الرواية في تسميتهم ومهما اختلفت فلا تبعـد عن الصحة ابدًا . فمنهم من سماهم المَرْيَمونية نسبة الى مَرْيَمون تصغير تحبيب او تعظيم لاسم مريم على الطريقة الإرَمِيَّة . ومِمَّن ذكرهم بهذه اللفظـة صليبا بن يوحنّا القسيس الموصلي في كتابه « رسالة البرهان والارشاد . الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد » أو كتاب إسفار الأسرار (راجع المشرق ٧ : ٥٨٦ و٩٨٥) في ص ١٨٣ من نسختنا وهذا نصّ كلامهِ :

« المريمونية (١ هؤلاء كانوا قوماً يعتقدون في مريم انها إله ولدت المسيح الذي هو إلهٌ حقّ من إلهٍ حقّ ابن جوهر ابيهِ وابن جوهر أُمهِ الذي كان ظهورهُ للعالم بالولادة منها بجملة كليتهِ

« واحتجوا على ذلك وقالوا : انما كان ابن الإله إلهًا لانهُ من جوهر والدهِ . واذا كان ذلك كذلك فغيرُ إلهٍ لا يَلِدُ الهًا لو كنتم تفهمون . واهل هـذا الرأي كان لهم في كل سنة يوم معروف يجتمعون فيهِ ويقيمون الصلاة ويتخذون قُرْصَةً واحدةً من خبز السميذ الفائق البياض ويقدمونها قربانًا على اسم السيدة مريم . اه »

وقد سمّاهم البعض « المَرْيَمانيّة » نسبة الى مَرْيَم على الطريقة الإرَمية . وهي لغة مقبولة . وقد ذكرها بهـذه الصورة ابن تيمية في ردّهِ على النصارى المسمّى « بالجواب الصحيح » ٣ : ١٠٤ إذ يقول : « . . . فمنهم من يقول المسيح وامهُ الهان من دون الله وهم المرْيَمانيُّون ويسمّون المرْيَمانية »

---

١) وفي حاشية كتابنا : ويروى في أغلب النسخ : المَرْبونية او المريونيـة . قلت : والاصح الرواية الاولى لان هاتين الروايتين بيّنتا التحريف القبيح المرغوب عنهُ

وسمّاهم آخرون « المريمة » نسبة عربية الى مريم منهم سعيد بن بطريق (في ص ١٢٦ من تاريخهِ المطبوع حديثًا)

وسمّاهم آخرون « بَرْبَرَانية » وهي لفظة اطلقها عليهم الارميون . ومعنى اللفظة « أبناء البرّ » كأنّ هذه البدعة خاصة باعراب البادية فهو مثل قولك : « بدعة الأعراب » وقد سمّاهم كذلك ابن بطريق في تاريخهِ المذكور ص ١٢٦ إذ يقول : « فمنهم كان يقول : ان المسيح وأمهُ الهان من دون الله وهم البَرْبَرَانيّة ويُسمّون المريمين » وكذلك سماهم ابن تيميّة ايضًا في عدّة مواطن من كتابهِ (راجع ٢ : ٣١١ مثلًا) . وقد اعجم هذا الحرف بعضهم فذكروهُ بصورة « بَرْبَزَانيّة وبَزْبَزَانيّة وبَزْبَرَانيّة . وكلها تصحيفات قبيحة » والاصحّ براءين مهملتين

ولما علماء الافرنج فسمّوهم (Collyridiens) (١ والكلمة مأخوذة من (collyrium) اللاتينية المنقولة عن اليونانيّة κολλύριον من κόλλυρα اي عجين او قُرْصة (ومنهُ عند العرب اسم القِلّار او القِلّاريّ لضرب من التين قِوام داخلهِ قوامُ العجين ويبقى كذلك اذا رُبّي برُبّ عقيد العنب . راجع التاج في ق ل ر)

وقد وصفهم الاب يوسف لبّان بقولهِ : « انتحلت بعض قبائل العرب الديانة النصرانيّة فاكرمت مريم اعظم الاكرام . ومذ عهد القديس ابيفانس كانوا يقدّمون لها قرابين هي قُرَص من سميذ وعسل . إلّا ان الاسقف القديس أفهمهم ان القرابين والذبائح لا تقدّم إلّا لله وحدهُ

« هذا وكان القصّاصون من الأعراب يجلسون في فيء النخل فيقصّون على سامعيهم أشهر حوادث سيرة العذراء القديسة صابغين تلك الوقائع بلون هذا النبع

(١ وقد سمّاهم بهذا الاسم الاعجمي اي قلوريّين ثاودوروس برخوني في كتابهِ المئون « بالاسكوليون » قال : القلوريّون — هؤلاء يقربون في يوم واحد من كل سنة قلورة (قُرْصة) باسم مريم ومن أجل هذه السنّة سمّوا قلوريين . وسمّاهم ثاودوريطوس دادوئيين (Δαδόηις) وسبابيين (Σαββαῖς) ودلنيين او متأخين (ἀδελφοὶς) وعربيين ἀραβικὴ (كلمة ἀραβικὴ توافق العربيّة عَرَمةٌ بجميع معانيها تقريبًا . ولا جرم ان العربيّة مأخوذة من اليونانيّة لان ليس في الاصل العربي معنى يتركب عليهِ هذا المعنى الفرعيّ . بخلاف اليونانيّة فان « عرم » معناه : سَنَد وقوّى وابّت الخ) وسيسونيين (Σισωνίους) . راجع تاريخهُ الكنسيّ الكتاب الرابع الفصل العاشر

صنع العجيب الذي يجب ابناء اسماعيل كل العجب » . اه

اما نتمة اخبار هذه الفرقة: فانها نشأت في بلاد العرب في المائة الرابعة للميلاد وكانت النساء كواهن هذه النحلة. وكان لهنَّ عجلة فيها كرسيّ مربَّع عليه كسفة ثوب وبعد ان يُقدِّمنَ القربان كانت النساء الحاضرات تتقاسمنهُ بينهن. وقد ازال هذه البدعة القديس ابيفانس المنوَّه عنهُ سابقًا. بعد ان اثبت لهم ان القرابين لا تُقرَّب الّا لله وحدهُ وان الكهنة لا يكونون الّا رجالًا. فعفا بذلك اثرها. وانقطع عنًّا خبرها . وربُّك الباقي انهُ الازلي الابدي

٣ المعادون لمريم

ومما يجدر اثباتهُ هنا « والضدُّ بالضدِّ يذكر » فرقة تُهين العذراء كل الاهانة وتنزع منها عُنوان فخرها . وتميّز فضلها وقدرها . وهي فرقة تقول بان مريم وَلَدَت اولادًا آخرين غير يسوع . ورأس هذه الشيعة الممقوتة الملعونة « هَلْفِيدِيوس » وقد سند ضلالهُ على الانجيل الشريف الذي يذكر اخوة ليسوع الذين ما هم على الحقيقة إلّا اولاد خالتهِ على اصطلاح الشرقيين الذين يجيزون هذا التعبير. كيف لا وهم يطلقون الاخ على كل مشارك لغيره في القبيلة او في النسب او في الدين او في الصنعة او في معاملة او في مودة او في غير ذلك من المناسبات. فيقال: للشرّ اخو الخير وللفقير اخو عيلة وللنوم اخو الموت وللكثير السفر اخو سفار وللذليل اخو الخنع من الخُنوع وهو الذلّة. الخ. الخ

وقد كتب هذا الخبيث سفرًا قائمًا برأيه يثبت فيهِ كفرهُ اي ان مريم غير عذراء ولهذا سُمّي من شايعهُ الهَلْفِيدِيون او المُعادون لمريم او المخالفون (١ لبتولية مريم وبالفرنسية

(antidicomarianites, adversaires de l'honneur de Marie, anti-Mariens *ou* Helvidiens)

وهذه البدعة لم تَعْنَ زمانًا طويلًا بل ماتت وهي طفل في مهدها الذي اصبح لحدًا لها بجاه تلك الام الوالدة البتول والدائمة البتولية

(١ وسمَّاهم ثاودروس المذكور في كتابهِ باسمهم الاعجمي اذ قال: « الأنطيديقومريكيطا » ومعنى اسمهم المعادون لمريم يزعمون ان مريم بعد ولادة مخلصنا لم تبقَ عذراء بل طاشت مع يوسف وولدت منهُ بنين وبنات ويزعمون ايضًا ان يعقوب ويوسى وهما الابنان اللذان رُزقهما يوسف من زوجتهِ الاولى (على زعم البعض. اطلب المشرق ٣: ٢٨٠، ٤١٢) كانا ابني مريم. اه